

"مستويات التحليل اللساني من خلال كتاب اللغة العربية وأدائها الخاص بالسنة

الثالثة ثانوي تخصص آداب وفلسفة"

-دراسة نقدية-

د/خديجة كلاتمة

أستاذ محاضر

جامعة العربي بن مهيدي - أم البواقي / الجزائر

khadidja_kelatma@yahoo.com

ملخص:

يعد حقل اللسانيات التطبيقية من أهم الحقول المعرفية التي تهتم بتطبيق مبادئ ونظريات اللسانية الحديثة بمختلف اتجاهاتها خاصة في مجال تعليمية اللغات؛ وذلك من خلال تطبيق أهم ما جاءت به من نظريات في مجال تحليل الخطاب، وقد ظهر كثير من المقاربات المنهجية التي تهتم بإظهار التفاعل القائم بين عناصر العملية التعليمية؛ المعلم، والمتعلم والمنهاج والمحتوى؛ لذلك تحاول هذه الدراسة أن تقف لمقاربة المحتوى المقدم للسنة الثالثة ثانوي تخصص آداب وفلسفة في المدرسة الجزائرية مقارنة وفق ما تمليه المناهج اللسانية الحديثة حتى ننظر في مدى تطبيق أهم ما جاءت به النظرية اللسانية الحديثة في مجال تحليل النصوص واستنطاق مضامينها.

حاول الدكتور الشريف مربي من جامعة الجزائر مع مجموع من أساتذة التعليم الثانوي إلى جانبهم مفتش التربية دراجي سعدي تقريب منهاج كتاب اللغة العربية وأدائها الخاص بالسنة الثالثة ثانوي شعبة الآداب والفلسفة حسب ما تمليه المقاربة النصية، هذا الإصلاح الجديد الذي عرفته المنظومة التربوية بغية البحث عن استراتيجيات يتم من خلالها تخطيط منهاج دراسي يتلاءم مع المستوى الذهني لتلاميذ هذه المرحلة، ويهدف هذا المشروع المقدم إلى تنمية القدرات الذهنية و تطوير المهارات المختلفة لدى المتعلم ومحاولة الانفتاح على الثقافة العربية والإنسانية.

وقد لخصت مقدمة الكتاب أهم ما جاء في محتواه من أن « هذا الكتاب امتد لكتابي السنتين الأولى والثانية، ولذا جاء غير مختلف عنهما كثيرا من حيث البنية ومن حيث المنهجية المتبعة (...)» وفي ذلك نية عدم التشويش على ذهن المتعلم من جهة، والتزام المنهاج والوثيقة المرافقة له من جهة أخرى، ويشتمل على اثني عشر محورا، ينجز كل محور في أسبوعين، ويتضمن نصين أدبيين ونصا تواصليا وآخر للمطالعة الموجهة، وهي نصوص متصرف فيها لغايات تربوية، والنصين الأدبيين تتم المعالجة الأدبية والنقدية، ويتم الاستثمار في النواحي اللغوية والبلاغية والعروضية، بغرض ضبط اللغة وتنمية ملكة التدوق الفني عند المتعلمين، ولم تكن الومضات النحوية والبلاغية والعروضية دروسا مستقلة، وإنما هي معارف مستمدة من النصوص نفسها ومن أجل خدمة المعنى والمبنى في تلك النصوص، وبمعنى آخر فإن الكتاب يقوم على أساس المقاربة النصية كاختيار منهجي، وعلى المقاربة بالكفاءات كاختيار تربوي.. « يتبين من خلال هذا النص أن هؤلاء الباحثين قد راعوا ذهنية المتعلم في هذه المرحلة الحساسة باعتبارها مرحلة نهائية؛ حيث لم يفصلوا بين ما جاء في محتوى هذا الكتاب ومحتويات كتب السنتين السابقتين، إلى جانب هذا أظهر نص المقدمة المقاربة الأنجع لمعالجة المحتوى المقدم وهي المقاربة النصية التي سنقف عندها من خلال تحليل المستويات اللسانية التي وقف عندها هؤلاء الباحثين.

معالجة النص الأدبي:

قسمت معالجة النص الأدبي إلى عناصر نذكرها مرتبة كالاتي:

1/ أثري رصيدي اللغوي:

- في معاني الألفاظ

- في الحقل المعجمي

- في الحقل الدلالي

2/ اكتشاف معطيات النص3/ مناقش معطيات النص4/ أحدد بناء النص:

الأسلوب الخبر والانشائي

الاقتباس

الصفات

النمط الغالب على النص ومؤشراته

المحاكاة والتضمين

البيان والبديع

البناء الفكري

التعليل، التحليل، الشرح

موقف الشاعر في النص.

5/ أتفحص الاتساق والانسجام في النص6/ أجمل القول في تقدير النص7/ استثمر موارد النص:

في مجال قواعد اللغة

في مجال البلاغة

يبدو من خلال قراءتنا لهذا التقسيم لعناصر دراسة النص الأدبي ومعالجته بعض الاضطراب في عملية تحليل الظاهرة اللغوية وتصنيفها؛ ويظهر ذلك من خلال معالجتنا لثلاثة مستويات بارزة وهي المعجم والدلالة والاتساق والانسجام.

1/ المعجم والدلالة:

يعرف علم المعجم أو المعجمية بأنه العلم النظري الذي يهتم بدراسة دلالة ومعاني المفردات والكلمات، وهي بذلك تشكل فرعاً من فروع علم اللغة العام،¹ إضافة إلى ذلك فهو يهتم بالبنية الشكلية للوحدات المعجمية من حيث صياغتها وأصلها الاشتقائي،² وللحقل المعجمي وظائف تقارب تعليمية النص من فهم القارئ، وذلك بمعرفة الأفكار المهيمنة، والموضوعات الأساسية وتعيين الروابط بينها، كما تساعد على اكتشاف الحالة النفسية لصاحب النص وتحديد المعنى العام والفكرة الأساسية للنص، ويتقاطع علم المعجم مع علوم كثيرة من أبرزها علم الدلالة فهو أكثر العلوم التصاقاً به؛ حيث يعرف علم الدلالة بأنه العلم الذي يدرس المعنى ويهتم بالتعبيرات الدلالية التي تلحق الكلمات والتعابير والأساليب.

ومن أهم النظريات التي أسسها هذا العلم وهي اشد ارتباطا بعلم المعجم وهي نظرية الحقول الدلالية؛ حيث يعالج الحقل الدلالي ثلاثة مستويات المستوى الأول تحديد الحقل الدلالي، تحديد الوحدات التي تشكل قسما من الحقل، تحديد العلاقات داخل الحقل الدلالي كالترادف، والاشتراك، والتضاد، والجزئية والكلية، التلازم، والاقتضاء والاشتمال ...

وتظهر الأهمية المعجمية لنظرية الحقول الدلالية في تجميع الألفاظ داخل الحقل المعجمي وتوزيعها للكشف عن

الفجوات المعجمية داخل الحقل الواحد.³

ومنه فإن متعلم اللغة بحاجة ماسة إلى استعمال المعجم اللغوي؛ لأن قدرته على استيعاب المفردات محدودة بمجال ثقافته ومستوى تحصيله العلمي خاصة في الأطوار التعليمية الأولى وانطلاقا مما عرضنا له في مفهوم الحقل المعجمي والحقل الدلالي والعلاقة بينهما سنحاول معرفة مدى المقاربة التي أجراها الدكتور معريبي ومجموعته بين المفاهيم النظرية لكل من الحقلين وما هو مقدم لتلاميذ هذه المرحلة، ويلخص الجدول الآتي عمل هؤلاء الباحثين في اثني عشر محورا مقرا على هذه السنة وهو كالآتي:

الحقل الدلالي	الحقل المعجمي	
عد إلى المعجم وتعرف على معاني (عصم) عد إلى المعجم وتعرف على معاني (خلد)	ماهي الألفاظ الدالة على الصفات الخلقية في النص؟ أجمع من النص الألفاظ الدالة على الزهد	المحور الأول
ابحث عن معاني الكلمات التي تحتها سطر استخرج من النص المصطلحات التي وظفها ابن خلدون ذات العلاقة بمنهج كتابة التاريخ	أذكر الكلمات الواردة في النص والتي تنتمي إلى مجال الفلك أبحث عن معنى تاريخ وأتبع أصل هذه الكلمة مقارنا إياها بما كان يعرف من العرب الثقافي قديما كمعلم الأنساب والأخبار وأيام العرب.	المحور الثاني
ابحث عن معاني أرعى بعد حصولك على جذرها. //////////	أستخرج مختلف الأفعال ذات العلاقة العائلية مع الجذر(ذكر) وبين معانيها المختلفة. //////////	المحور الثالث
وردت لفظة كريم في النص بمعنى محدد. ماهو؟ أوردتها في كلمتين من انشائك بمعنيين آخرين. ما الفرق بين ضرعوا و ركعوا؟	في أي مجال يمكن إدراج الألفاظ الآتية: حر، مهذب، دافعت، شددت، ساعده متقرب، ضميري، أرحم؟ ايت بأربعة ألفاظ يمكن إدراجها في مجال مضاد. اعتمد الشاعر قاموسا لغويا تنوعت دلالاته نحو (الجوع ، الفاقة، سده) التي تدل على الفقرمثلا؛ صنف مجالين دلاليين آخرين بتحديد موضوع كل منهما.	المحور الرابع
عد إلى بعض المعاجم وبين معاني كلمة عتيق ما المعاني التي تفيدها كلمة الخاطرة؟	عين الكلمات الدالة على المفاهيم السياسية في النص. عين الألفاظ التي تصب في المفاهيم الاجتماعية في النص.	المحور الخامس
ماهي دلالات الكلمات: الأبكار، البكر، البكور، البكر	ابحث عن المعاني التي تنتهي إلى حقل القيم حسب	المحور

السادس	ورودها في النص استخرج من النص الكلمات التي تنتمي إلى مجال التعذيب.	ابحث عن جملة المعاني التي تدل عليها الكلمات الآتية: الفتور، الفترة، الفتار، الفتر. استعن بمكتبة الثانوية لمعرفة المزيد عن هاتين البطلتين جميلة بوحيرد، خولة بنت الأزور.
المحور السابع	ابحث عن معاني (رعى) من القاموس ووظفها في جمل حسب هذه المعاني. ابحث في القاموس عن معاني كل من: وهاد، ذرى، يسقى، الحرج. قارن بينها وبين معانيها في سياق النص. ثم استنتج وظيفتها الدلالية.	ماهي الأبعاد الدلالية للمفردات الآتية من خلال سياقها في النص؟ ليالي، الأرق، معابر، غفرنا. في النص توظيف للمعجم الطبيعي لدلالات اجتماعية، ضع جدولاً تسرد فيه هذا المعجم وتبين دلالاته الاجتماعية من السياق.
المحور الثامن	تحت أي موضوع تندرج الألفاظ الآتية: الصارخ، الظلمة، العتمة، لا يترنم، ثقيل، الحسرة، طوبناه؟ في النص عن المفردات الدالة على الاستكانة والعجز. وعن المفردات الدالة على البطولة.	تعرف على جذر كلمة (الصارخ) ثم استعن بالقاموس لمعرفة معانيها المختلفة. حدد جذر كلمة (المراهنة) واذكر جملة المعاني التي تدل عليها باعتماد أحد المعاجم.
المحور التاسع	غياب لدراسة الحقل المعجمي. غياب لدراسة الحقل المعجمي.	/// ///
المحور العاشر	للقيم مجالات عدة منها (الاخلاق، الحقيقة، والمعقول، الذوق، الجمال) ابحث في النص عن الكلمات التي يجمعها مجال الاستغلال.	استخدم أحد المعاجم لمعرفة الفروق بين الألفاظ الآتية: البهر، المباهرة، الأبهار، اليهار استخدم أحد المعاجم لمعرفة مشتقات الكلمة الآتية: خبال، استعن باستاذك في مادة التاريخ لمعرفة الألقاب الآتية: الوقاف-القايد-الخوجة.
المحور الحادي عشر	استخرج من النص المعجم اللغوي الدال على الطبيعة معاناة شهريار. استخرج من النص المعجم اللغوي الدال على سعادة الأم قبل الحادثة، ثم عن تعاسفها بعدها	ابحث عن الفروق الدلالية بين: كشفه، كشف عنه/تتحرق، تحرق، تحترق/تنظر إلى، تنظر فهيمات: تتردد في النص الكل الكابوس، الجنون، الحرب. ما الذي يجمع بين هذه الدلالات من خلال سياق المسرحية.
المحور الثاني عشر	تتضمن الألفاظ الآتية قيما رمزية في المجتمع الجزائري، تحت أي مجال تندرج؟ لالة، سي، آل، القبيلة. احص الألفاظ الدالة في النص على اشتغال شخصية المؤلف في مجال المسرح.	استعن بالقاموس لإبراز الفروق الدلالية بين الألفاظ الآتية: السليط، سلطان، سلطنة، سلطة، متسلط. أوضح الفرق بين: قبض المال، قبض الروح، قبض على السارق، انقباض، قابض.

يلخص الجدول جملة الأسئلة المقدمة لتلاميذ هذه المرحلة في اثني عشر محورا خاصة بالمستوى المعجمي والمستوى الدلالي، وما نلاحظه على هذا الجدول أن الدكتور مربي ومجموعته حاولوا تطبيق مفهوم الحقل المعجمي والحقل الدلالي ومقاربة هذه المفاهيم مقارنة نصية تتصل بموضوع النصوص الأدبية المختارة بغية تحقيق أهداف تعليمية تتمثل في

استيعاب الفكرة العامة التي يدور فيها النص والحالات النفسية والاجتماعية، واكتشاف الموضوعات المهيمنة على النص، وعليه فإن هذه المقاربة التي أجراها هؤلاء الباحثين تفتقد إلى الدقة في توظيف المصطلح حيث نلاحظ اضطرابا بارزا في تحليل المفردات بين ما ينتمي إلى الحقل الدلالي وما ينتمي إلى الحقل المعجمي؛ فقد قمنا بتحديد الأسئلة الموجهة للتلاميذ التي تنتمي إلى الحقل المعجمي باللون الأخضر فوجدنا ثلاثة منها مندرجة ضمن الحقل الدلالي؛ فمثلا في المحور الثالث والثامن والعاشر نجد ضمن خانة الحقل الدلالي عملية البحث عن الجذر الاشتقاقي للكلمات وهذا من الوظائف التي يقوم بها الحقل المعجمي، أما ما هو باللون الأصفر فينتهي إلى دائرة الحقل الدلالي؛ ذلك أن من مهمة علم الدلالة البحث في الحقل الدلالية التي تنتمي إليها المفردات لتحديد العلاقات القائمة بينها، ويظهر الاضطراب من خلال المحور الأول، والثاني والرابع والخامس والسابع والثاني عشر.

كما يفتقد التحليل على مستوى الحقل الدلالي للمفردات إلى إظهار العلاقات الدلالية بين المفردات، كالترادف والتضاد، والاشتراك، والجزئية والكلية.

2/ الاتساق والانسجام:

هما من المعايير النصية التي تسهم في تماسك النص على مستويين اثنين مستوى البنية الشكلية أو الفوقية؛ حيث تتحد جملة من العناصر اللغوية لتشكل بنية متماسكة، ومستوى المضمون الذي تتفاعل فيه جملة من العناصر الدلالية مشكلة فضاء دلالي متماسكا، ولسانيات النص أو علم النص أو كما اصطلح عليه نحو النص: مجال تجاوزت فيه الأبحاث والدراسات اللغوية من دراسة الجملة إلى دراسة النص وقد ظهر هذا المجال من البحث مع هاريس ونضج مع فان ديك وقد شاركه فيه الأمريكي ديبوجراند ويرى هؤلاء انه هناك سبعة معايير تسهم في اكتمال النص وهي: الاتساق، الانسجام، القصديّة، التقبليّة، المقاميّة، التناسق⁴

معالجة الاتساق والانسجام:

حاول الدكتور مربي ومجموعته تقريب المفهوم اللساني النصي لمعياري الاتساق والانسجام من أذهان تلاميذ هذه المرحلة من خلال تحديد أهم العناصر اللغوية وغير اللغوية التي تسهم في اتساق النص وانسجامه، إلا أنه بعد قراءتنا لما جاء في هذا المستوى اللساني لاحظنا غياب كثير من عناصر الاتساق؛ حيث كان أكثر تركيزهم على الضمائر، التكرار، التقابل والتضاد، في حين توجد عناصر لغوية كثيرة تسهم في الاتساق كأسماء الإشارة، الأسماء الموصولة، حروف العطف، أدوات الشرط، إضافة إلى هذا غياب تام للمصطلح وتوظيفه لإزالة اللبس والغموض عن العناصر كعدم الإشارة مثلا إلى مصطلح "الإحالة" الذي تندرج تحته معظم العناصر الإشارية التي ذكرنا وتسهم في اتساق النص؛ لأن العملية التعليمية تتطلب ضرورة تلقين المتعلم المصطلح اللساني باعتباره مفتاحا يلج من خلاله إلى عالم اللغة هذا الفضاء الواسع والثر الذي لا يمكن ضبطه إلا عن طريق المصطلح وتطبيق مفهومه تطبيقا فعليا، أما الانسجام فقد افتقر هذا المستوى لمعظم عناصره الفاعلة فيه، إذ يحدد انسجام النص كما جاء عند اللسانيين النصانيين بمجموعة من الآليات نذكر منها: العتبات النصية، الخاتمة النصية، ترتيب موضوعات الخطاب، والتناسق مع نصوص غائبة، وهذا ما لم نجده في أغلب المحاور المقدمة، مما يجعلنا نتساءل عن سبب غياب هذا الاهتمام بتطبيق المفاهيم اللسانية كما جاءت بها الأبحاث والدراسات في ميدان اللغة، إذ التلميذ في هذه المرحلة يمتلك القدرة على استيعاب المصطلح والمفاهيم باعتباره في الأقسام النهائية وغير بعيد للولوج إلى الجامعة.

وفي قراءتنا لهذا المستوى كذلك لاحظنا خلطا في إدراج أسئلة لا صلة لها بآليات تحقيق الاتساق والانسجام داخل النص وسنورد نماذج عن ذلك:

المحور الثاني⁵

تبيين من النص معاني حرف الجر (الباء) وفائدته في اتساق النص.
استخرج من النص التضاد الطباق ثم اذكر وظيفته
ما دلالة الأفعال الآتية: ابتداءً، يزال، يصير في ترابط معاني النص؟
استخرج خصائص النص العلمية مع التمثيل.
بين مدى التسلسل في عرض أفكار النص، و المعيار الذي اعتمده الكاتب في ترتيب الفقرات.
يبدو من خلال النص أن أسلوب الكاتب شديد الوضوح رغم كثافة المعلومات والاستشهادات، ما السر في ذلك؟

المحور الثاني: 6

- بنى الشاعر كل قصيدته على الإثبات والنفي، وضح بأمثلة.
- عنصر الزمان والمكان بارز في النص. هات أمثلة وبين إلى ماذا يوحي ذلك
- عبر الشاعر عن الأنا والآخر في أكثر من سياق. ما هدفه من ذلك بالتمثيل.
- نوع الشاعر بين الجمل الفعلية والجمل الاسمية. هات مثالا لكل نوع وبين أين المسند والمسند إليه في كل جملة

تعليق:

نلاحظ تنوعاً للأسئلة الموجهة لتلاميذ هذه المرحلة في مجال الاتساق والانسجام، إلا أننا نجد حشواً واضحاً في إقحام بعض العناصر باعتبارها آليات يتم من خلالها تحقيق الاتساق والانسجام داخل النصوص وهي التي وضعناها باللون الأصفر، كمعاني حرف الجر في المحور الأول: لأن مسألة البحث في معاني حرف الجر هو انتقال بنا إلى البحث في مستوى لغوي آخر وهو البلاغة: حيث تتحد وظيفة هذه الحروف بحسب السياقات التي وردت فيها فهي تحقق أغراضاً بلاغية واتساقاً على مستوى الجملة لا النص، أما البحث في الخصائص العلمية للنص مع التمثيل فهو عنصر أدرجه هؤلاء الباحثين ضمن بناء النص وفيه يتحدد نمط النص وخصائصه، وكذلك البحث في أسلوب الكاتب، أما الإثبات والنفي فلا نرى أي مناسبة لإقحام هذا العنصر ضمن وسائل الاتساق والانسجام، أما مجال البحث في الجملة الاسمية والجملة الفعلية وعلاقة الإسناد بين الفعل والاسم والاسم من صميم البحث في مجال النحو ذلك أن نحو النص نحو يتجاوز الجملة إلى النص.

إضافة إلى هذا لا نلاحظ فصلاً واضحاً بين المصطلحين الاتساق والانسجام من خلال ما عرض في اثني عشر محورا وهذا ما يجعل التلميذ يقع في ارتباك واضطراب في تصنيف آليات تحقيق الاتساق وآليات تحقيق الانسجام.

خاتمة:

حاول هؤلاء الباحثين مقارنة محتوى كتاب اللغة العربية وآدابها مقارنة لسانية نصية، انطلقوا فيها من المستوى المعجمي، والمستوى الدلالي إلى المستوى اللساني النصي، وهي محاولة حسنة تفتقر إلى التحديد الدقيقة للمصطلح اللساني وتوظيف مفاهيمه بطريقة دقيقة، تساعد تلميذ هذه المرحلة على استيعاب المستويات المختلفة للغة العربية.

الهوامش:

- 1 عبد القادر بوشيبية: محاضرات في علم المفردات وصناعة المعاجم، جامعة أبي بكر بلقايد، كلية الآداب واللغات، ص 5
- 2 ينظر المرجع نفسه، ص 10
- 3 ينظر المرجع نفسه، ص 30
- 4 ينظر، لسانيات النص وتحليل الخطاب، المؤتمر الدولي الأول للسانيات وتحليل الخطاب، جامعة بن زهر، أكادير، المملكة المغربية مج 2، ص 615.
- 5 كتاب اللغة العربية وآدابها السنة الثالثة من التعليم الثانوي، وزارة التربية الوطنية، ص 33.
- 6 المصدر نفسه، ص 44